

علماء وأعلام

آية الله السيد

علي القاضي الطباطبائي رحمته الله



السيدعلي
القاضي
الطباطبائي
التبريزي،
عشارف
وفيلسوف
وأستاذ أخلاق
في حوزة
النجف الأشرف

العلمية. ولد سنة ١٢٨٢ هـ في مدينة تبريز. تتلمذ على يده العديد من العلماء، وكان يُشير من بينهم إلى السيد محمد حسين الطباطبائي والسيد هاشم الموسوي الحداد، والشيخ محمد تقي بهجت.

ولادته ونسبه

ولد السيد علي بن حسين بن أحمد بن رحيم الطباطبائي التبريزي القاضي في ١٣١٠ من شهر ذي الحجة من سنة ١٢٨٢ هـ في مدينة تبريز.

ونشأ تحت رعاية أسرة المرجوم السيد حسين القاضي، وهي من الأسر العلمية المعروفة بالفضل والأخلاق، ينتهي نسبها إلى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

حياته العلمية

شرح السيد علي تحصيلاته الدراسية منذ ريعان شبابه؛ كان لوالده إقبال منقطع النظر على علم التفسير، فدرس تفسير الكشاف عند والده، كما تعلم على يد الشاعر المشهور والعالم المعروف الميرزا محمد تقي التبريزي أداب اللغة العربية والفارسية، ونقل عنه العديد من الأشعار باللغتين، ولما تأجج في داخله الشوق والعشق لزيارة أمير العارفين علي بن أبي طالب عليه السلام إنتقل في قافلة من تبريز إلى النجف الأشرف.

ما أن وصل السيد القاضي إلى النجف الأشرف سنة ١٣١٢ هـ، حتى واصل دراسته الحوزوية؛ ليتلمذ على يد العلماء فيها.

في خاتمة مطاف دراسته الحوزوية والتتلمذ على يد أبرز العلماء أثمرت جهوده في طريقه لكسب العلم والمعرفة والكمال؛ لنبال في السابعة والعشرين من عمره درجة الإجتهد.

حياته الاجتماعية

عاش السيد علي القاضي في أقصى مراتب الفقر في النجف، حيث كان عاجزاً حتى عن دفع إيجار دار السكن، وقد رُمي يوماً أثاث منزله في الشارع، فاضطر أن يتنقل المعدة لمبيت الزوار والقرباء، ومع ذلك لم يثنيه الفقر عن التوجه التام إلى الله سبحانه وتعالى.

طريقته في العرفان

قال العلامة الطباطبائي: إن طريقة السيد القاضي العرفانية هي نفس طريقة الملا حسين قلي الهمداني، والسيد علي الششتري، اللذان يرجع عرفانهم إلى العارف (جولا) وهو شخص غير معروف. وقيل: أنه كان على طريقة أبيه السيد حسين القاضي، وقيل: أنه كان ملازماً للسيد مرتضى الكشميري، فاتبع نفس طريقته، لكن المعروف أنه تتلمذ على يد طلبة الملا حسين قلي الهمداني.

أساتذته

والده السيد حسين الطباطبائي؛ الميرزا محمد تقي التبريزي؛ الفاضل الشرياني؛ الشيخ محمد حسن المامقاني؛ الشيخ فتح الله الشريعة الأصفهاني؛ الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية؛ الميرزا حسين الخليلي.

أساتذته في العرفان

والده السيد حسين؛ آية الله الشيخ محمد البهاري وآية الله السيد أحمد الكرلائي وهما من أبرز تلامذة الملا حسين قلي الهمداني.

تلامذته

محمد حسين الطباطبائي؛ السيد حسن الأصفهاني؛ الشيخ علي قشام؛ السيد هاشم الحداد؛ الشيخ عباس القوجاني؛ السيد هاشم الهندي الرضوي؛ الشيخ محمد تقي بهجت.

من آثاره

تفسير القرآن من أوله إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾، من سورة الأنعام؛ قصائد في كتاب "صفحات من تاريخ الأعلام في النجف"؛ رسائل قد كتبها إلى طلابه في السير والسلوك العرفاني وتزكية النفس؛ الشعر باللغة العربية والفارسية.

وفاته

توفي السيد القاضي في ليلة الأربعاء، السادس من ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ ودفن في وادي السلام في النجف الأشرف، قرب مقام الإمام المهدي، وجوار والده. ونُقل عن المحقق عبد العزيز الطباطبائي أنه سمع السيد الخوئي يقول: إن النجوم قد تاثرت عند وفاة السيد علي القاضي، فقلت: إن النجوم لا تتأثر لموت أحد، فقال: إن هذا يقين عيني ولا يمكن أن أتأثر له عنه؛ لأنني رأيته بأم عيني.

... في زمن يعزّ فيه الكتاب، ويندر فيه الكتاب، ويغلب التقدير على التدبير والتفكير، ويقل التحقيق والمحققون، تتشرف أسرة مجلة "شعائر" أن تسلط الضوء على إنتاج فكري - تاريخي - تحقيقي رائد، حصل على جوائز وتكريمات عالمية، إنه كتاب "الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليه السلام" للمحقق العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي، الذي أجاب عن أسئلة المجلة حول الكتاب.

■ **سماحة السيد، ما هو رأيكم الفارق النوعي بين ما ورد في كتابكم "الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليه السلام" وبين كتب السيرة المتعارفة؟**

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا محمد صلى الله عليه وآله، وآله الطيّبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

إذا كان المقصود بالسيرة هو سرد الأحداث التي ترتبط بحركة شخص، أو أشخاص في مجالات مختلفة من حياته وحياتهم، فإن كتاب "الصحيح" لم يعتمد هذا النهج، بل هو لم يكتب من الأساس لأجل هدف كهذا، ولو جزئياً. وإنما ألف هذا الكتاب بداعي معالجة ما يمكن معالجته، أو ما تسنح الفرصة لمعالجته من نصوص تدّعي أنها تحكي أحداثاً في حياة رسول الله ص؟ ولها نوع ارتباط به، أو انتساب إليه، أو يمكن أن يكون له عليه السلام تأثير فيها بنحو، أو بآخر.

وهذه المعالجة كانت على أنحاء، وفي أكثر من اتجاه: فهي تارة تهتم بنقد النص لمعرفة صحيحه من سقيميه، وغثه من سمينه، وسليمه من محرّفه، وحقيقته من مزيفه.

وأخرى تحاول معالجة مضمون النص بإلقاء الأضواء على طبيعة مضمونه، وتحديد قيمته، ومدى انسجامه مع الثوابت والمنطقات العقائدية والإيمانية الصحيحة، وموافقه لأحكام الشريعة، والقيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية الرفيعة النبيلة. والهدف من ذلك: هو تصنيف النص ووضعه في دائرة الحقّ أو اعتباره من الباطل الذي لا بدّ من تحاشيه، والابتعاد عنه، وإدانة من صنعه، أو النزم به، أو مال إليه، وروج له، واعتمد عليه.

وهناك مستوى آخر استأثر بقسط من اهتمامنا في معالجتنا لتلك النصوص، وهو محاولة استنباط اللطائف والظرائف منها، وكشف حقائقها، والوقوف على ما أمكن الوقوف عليه من دقائقها، واستنتاج عباراتها، واستلهاها إشاراتها في حدود ما يتيسر لنا من وقت، وما يتسنى لنا بذله من جهد.

ولو أردنا أن ندّعي أن كتاب "الصحيح" هو كتاب سيرة سردية وحسب، فلا

حوار

حول كتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم

بمناسبة ذكرى رحيل العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي رحمته الله



بدّ أن نعتبر أن التعرّض لهذه المجالات -باستثناء الجانب السري للسير- خروج عما هو مرسوم، ونقض للغرض، إن لم نقل إنه خبط وخلط، وتسمية للأمور بغير أسمائها.

■ ما هي المصادر الأساسية التي تمّ الإعتماد عليها في كتابكم؟

إنّ ما نبخته في هذا الكتاب هو نصوص سجّلت حركة نبيّ معصوم ومسّدٍ من الله تعالى في كل شيء، وفي مختلف المجالات، وحركة النبي هي: مواقفه، وتوجيهاته، وسكوته، وكل ما يصدر عنه من فعل وقول هو أسوة وقودة فيه. وهو مدرسة فيها مختلف العلوم والمعارف، وفيها أحكام وسياسات، وتربية، وقيم، وأخلاق، واعتقادات وسلوك، وخطط حربية، وفيها إعلام وطب، وفقه وأصول فقه، وتاريخ، ومناهج، وكل ما يحتاجه الإنسان، وما يحتمل أن يبرز عليه، ويتعامل معه.

وقد نجد بعض ما يعرفنا بذلك كله في القرآن الكريم، وفي أقوال الذين عاشوا مع النبي ص وأقوال الأئمة عليهم السلام، الحاكية لأقوال وأفعال، وسياسات، وكل حركة وسكون، وكل ما جرى له، واتصل به، وما إلى ذلك.

وبالرغم من السياسة التي اعتمدت بعد استشهاد الرسول ص مباشرة، والقاضية بال منع من رواية وتدوين أقواله وأفعاله وسياساته وكثير ممّا يرتبط به ص، فقد هيأ الله تعالى سبلاً كثيرة استطاعت أن تكسر كل هذه الحواجز، وتتجاوز جميع العوائق التي اعترضت سبيل وصول كثير من الأمور إلينا.

ولكن ما وصل إلينا كان كثيراً أيضاً، وإن كان قد اختلط غثه بسمينه، وصحيحه بسقيميه. وقد كان كل فريق من الناس، وكل ذي اختصاص يحاول أن يأخذ من النصوص القرآنية، ويختار من الروايات في السيرة والسنة النبوية ما يناسبه، فيدونه بحسب ما يراه مناسباً. وربما سجّل ملاحظات توضيحية، أو تصحيحية على بعض ما سجّله، وربما أهمل ذلك ليكون الذين يأتون بعده هم الذين يتولون ذلك.

وعن الحقّ والحقيقة ابتداءً، وعلى الباطل إصراراً وعناداً. وإنما على نفسها جنت براقش. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. (النحل: ١١٨). أمّا أولئك الذين تركوا الحق وأنسوا به، وأحبّوه، ولم يستكبروا عنه أن يقال لهم، وأن ينقادوا له، وأن يعملوا به، ويدافعوا عنه، ويفدوا أرواحهم في سبيله، فقد خضعوا لمعايير سليمة، وضوابط قويمه، والتزموا بها. ولئن وقعوا أحياناً في خطأ جزئي هنا وهناك في بعض التفاصيل، بحكم كونهم بشراً لا يدعون العصمة المطلقة لأنفسهم، التي نشأت بعد الإسلام، وفي العلوم التي تأسست قبله أيضاً، ودوّنت أو أعيد تدوينها بعد ظهور الإسلام -احتوت- الكثير الكثير من السنة والسيرة كأدلة تارة، وكشواهد ومؤيّدات أخرى. فأيّ كتاب تفتحه وتنظر فيه، فإنك تجد فيه الشيء الكثير من ذلك.

من أجل ذلك نقول: إنّ المصادر التي اعتمدنا عليها في كتاب "الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليه السلام" هي -بالإضافة إلى كتاب الله سبحانه- كل ما استطعنا أن نطلع عليه من المؤلفات التي كتبها أهل الإسلام، مثل كتب: الأنساب، واللغة، والعقائد، والتاريخ، والتفسير، والحديث، والطب، والأدب، والجغرافيا، والبلدان، والرجال، والفقهاء والأصول، حتّى كُتب الفلسفة، والحساب، وما إلى ذلك، إلخ.

■ **هل استطاع الكتاب أن يعالج إشكاليات في السيرة النبوية كانت مقارنتها في الغالب شكلية، أو أنّ الباحثين كانوا يتجاوزونها مخافة الوقوع فيما يخدش مقام النبي ص من قبيل "عدم فضح المنافقين" أو "قضية بعض زوجاته"؟**

لا توجد إشكاليات في السيرة تحتاج إلى معالجة، بل الذي يحتاج إلى المعالجة هو الفكر الإنساني حين يصبح أسير الأهواء، ويتخذ طرْقاً ملتوية، ويتبنّى معايير مجحفة، وغير واقعية، ويعتمد أدوات زائفة، فيوقع نفسه وغيره في الشدة، وفي متاهات من الجهل.

والذي ألبأ هؤلاء الناس إلى ذلك: أهواء وعصبيات، نهامهم الله عن متابعتها، وعن الإنسياق معها، وحظرت عليهم الحكمة الإقتراب منها، يرفها ويغذّيها ويحميها استكباراً عن الحقّ أن يُقال لهم، وعن الصدق والواقع أن يُعرض عليهم، وأن يعترفوا به، فضلاً عن أن ينقادوا له. من أجل ذلك جاءت مقارباتهم للأمور عرجاء وعوجاء، وغير ذات أثر سوى تعميق الجرح، وزيادة الطين بلّة، والخرق أثساءً،

غيره من مؤلفاتنا، من أن نتجاهل كل هذه الأجواء التي قد يثيرها أمثال هؤلاء، وتعاملنا مع الأمور بكل عفوية وموضوعية، ووضوح، غير أبيهن بكل الصخب والضجيج الفارغ الذي يثيره الجاهلون والمتعصبون، الذين يريدون أن يفرضوا آراءهم بقوة العضلات، وبضجيج الأصوات، لا بالخج والبراهين والبيّنات.

■ **هل بإمكان القارئ لكتاب "الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليه السلام" أن يستنبط القواعد التأسيسية من هذا الكتاب؟**

حول استنباط القواعد التأسيسية من كتاب "الصحيح"، فعلّل أدنى مراجعة له تعطي: أنّ الوسائل والأدوات البحثية التي استفدنا منها فيه لا تختلف عن غيرها، ما دام أنّ المطلوب هو تمحيص النّص، والوقوف على مدى صحته وصدقته في حكايته للوقائع والأحداث، فإنّ وسائل البحث في النصوص التاريخية هي نفسها التي تُستعمل في تمحيص أيّ نصّ آخر في أيّ مجال، أو في أي علم آخر.

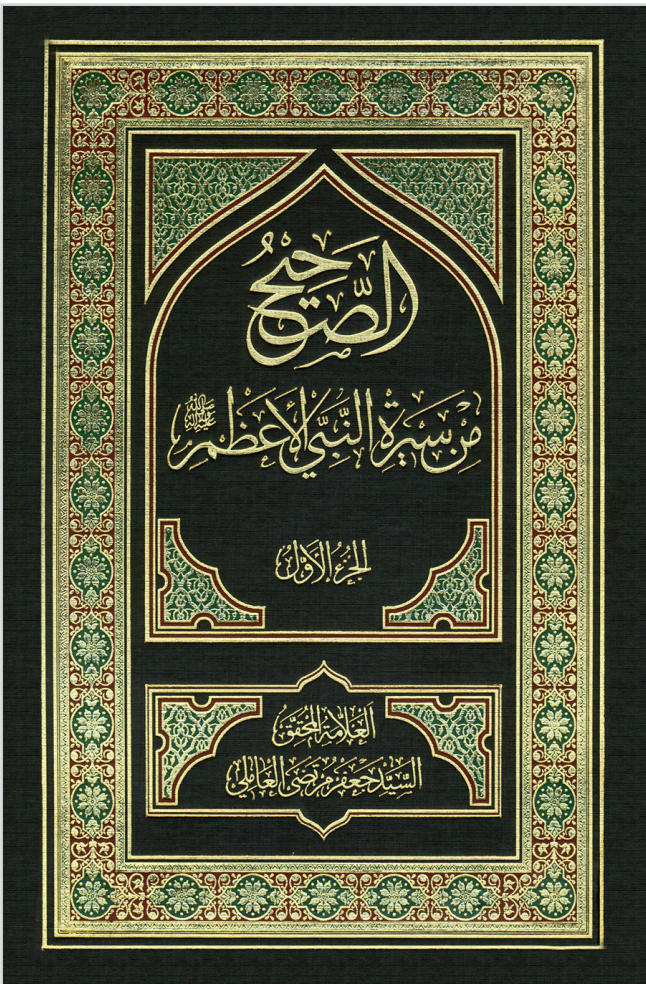
فالبحت السّندي هو نفسه، الذي نجده حاضراً وفارضاً

نفسه، وآلياته.

فلعلّه سابق، أو لاحق، بالنسبة للحدث الذي يُراد الإستشهاد بالآية عليه. وإذا تضمّن النص الحديث عن شخص، فلا بدّ من معرفة إن كان هذا الشخص شخصية حقيقية أو مخترعة، وعلى الفرض الأوّل لا بدّ أن يحدّد تاريخ ولادته ووفاته، وسنّه، وأن تُعرّف أخلاقيّاته وسياساته، وغير ذلك من شؤون، فعلّ ذلك كله، أو بعضه لا ينسجم مع الحدث، الذي يراد نسبته إليه، أو ربطه به. ولو تضمّن الحدث ذكراً لمسار في طريق، أو حديثاً عن موضع، فلا بدّ من معرفة أن ذلك يتوافق مع واقع المسالك، أو المواضع في أوضاعها التي كانت عليها في زمان الحدث لمعرفة مدى واقعية وصحة ما جاء في النص فيما يرتبط به.

ولو تضمّن النص حديثاً عن مضمون إيماني، أو عقيدة، أو سياسة ذات طابع معين، فلا بدّ من معرفة مدى توافق ذلك مع الواقع المتيقّن، والمتسالم عليه في ما يرتبط بالعناصر التي المضمون بها.

وهكذا يُقال بالنسبة لسائر العناصر المتوفرة في النصّ الذي يُراد البحث فيه، فإنّ آليات البحث، والقواعد والمنطقات تكاد تكون مثقفة، أو متقاربة في ما بينها، حتى عندما يراد البحث في نصّ آخر، في أي مجال آخر، ينحو يصعب إفرادها بتصنيف يخصّها،



وبميزها عن سائر الآليات والقواعد، التي يستفاد منها في سائر المجالات.

لكن هذا لا يمنع من أن تفرض خصوصيته التعرّض لتفاصيل وجزئيات تناسب تلك الخصوصية، وتحتاج إلى مزيد من العناية بها. والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمّد وآله الطاهرين.

المصدر: مجلة "شعائر"، السنة الثانية، العدد الثالث والعشرون